

إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام / العدد (٤٠)

إضاءات من دعوات المرسلين

عليه السلام

الجزء الثالث القسم الأول

السيد أحمد الحسن

طبعة منقحة

الطبعة الثالثة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

لمعرفة المزيد حول دعوة السيد أحمد الحسن العليّ

يمكنكم الدخول إلى الموقع التالي:

www.almahdyoon.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآل محمد الأئمة والمهدين.

إضاءات من مسيرة يوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام نبي مرسل إلى بني إسرائيل وغيرهم، وقد أقر رسالته وآمن به بعض أهـل مصر، ومنهم بعض أفراد العائلة الحاكمة، وهذا مؤمن آل فرعون يُذكر فرعون مصر وملاه في زمن رسالة موسى عليه السلام بيوسف عليه السلام ورسالته ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رِيسًا وَلَا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾^(١).

وها هو يوسف عليه السلام يصدع بدعوته في أصعب الظروف وهو في السجن: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢)، بل ويتعرض لدين الملك بشدة دون أن يكون للسجن وإحاطة زبانية فرعون به أي تأثير يجعل يوسف عليه السلام على الأقدار لئلا يمداهن في تحطيم الأصنام البشرية التي أهلها المصريون، بل ها هو يحمل فأسه ويحطم الأصنام البشرية كما حطم جده إبراهيم عليه السلام أصنام الحجارة ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى لم يتعرض في القرآن لدعوة يوسف عليه السلام كني مرسل داع إلى التوحيد ويطلب من قومه الإيمان به، كما تعرض لباقي دعوات الأنبياء، بل إن هذه الجهة تكاد تكون غير ملحوظة في سرد مسيرة يوسف عليه السلام إلا بقدر قليل يبين رسالة يوسف عليه السلام من الله وأنها رسالة إبراهيمية، فلا نجد في القرآن كيف أن يوسف عليه السلام دعا قومه، وكيف

(١) غافر: ٣٤.

(٢) يوسف: ٣٩.

(٣) يوسف: ٤٠.

٦..... إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

جادلهم، وماذا ردوا عليه وما هو حال المؤمنين بيوسف عليه السلام، وما هو ... وما هو ... أسئلة كثيرة ربما تجد أجوبتها في القرآن إذا كان الأمر يتعلق بالأنبياء المذكورين في القرآن غير يوسف عليه السلام، ومع إن سورة طويلة في القرآن اختصت في سرد مسيرة النبي المرسل يوسف عليه السلام.

فلماذا ترك القرآن التعرض لتفاصيل رسالة يوسف عليه السلام كما تعرض لتفاصيل رسالات

الأنبياء ﷺ ؟

والجواب: إن سرد القصص في القرآن يراد منه أن يتعظ الناس ولا يعيدوا الكرة مرة بعد أخرى، فموسى عليه السلام تذكر قصته في القرآن أكثر من مرة، وكل مرة يراد منها إعطاء صورة للقارئ تختلف عن سابقتها، وبهذا تكتمل عنده الصورة، بل ويصبح يعرف موسى عليه السلام إذا رآه من الأمام أو الجانب أو الخلف، والهدف القرآني ليس موسى بن عمران عليه السلام بعينه، بل الذي يأتي ويمثل موسى عليه السلام، وفي قصة يوسف عليه السلام فإن الهدف هو النبوة، بل بالخصوص الرؤيا، وكونها طريقاً لوحي الله سبحانه وتعالى، فالمراد لفت الانتباه إلى علاقة الرؤيا بيوسف الآتي، يوسف آل محمد (المهدي)، بل وان الملائكة (العلماء غير العاملين) سيقولون عنها أضعافاً أحلام، كما أن ملائكة فرعون ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾^(١).

وهذه الإضاعات ﴿... آيَةٌ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٢):

(١) يوسف: ٤٤.

(٢) القمر: ١٥.

إضاءة من رؤيا يوسف عليه السلام

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١).

الأحد عشر كوكباً إخوة يوسف عليه السلام، والشمس والقمر يعقوب وأم يوسف راحي ل. رآهم يوسف في الرؤيا ساجدين له، فما هو هذا السجود، وكيف وقع، وهل يصح السجود لغير الله، وإذا كان لا يصح فما معنى سجودنا للكعبة وهي حجارة، وما معنى سجود الملائكة لآدم وهو إنسان مخلوق، وما معنى سجود إخوة يوسف ويعقوب وهو نبي، وأم يوسف ليوسف عليه السلام؟!.

المرتكر في الأذهان عن السجود هو وضع الجبهة على الأرض، أو الانحناء ووضعها على شيء منخفض عنها، والمراد منه هو بيان الخضوع والتذلل والطاعة للمسجود له، وربما كان السجود بالإيماء له بالرأس أو حتى برموش العين، كما هو حال العاجز عنه بالصلاة.

والحقيقة، أن الإنسان الخاضع الذليل لله والمطيع لأمر الله ساجد في كل أحواله، نائماً وقائماً وقاعداً وماشياً. والإنسان الذي لا يخضع لله ولا يتذلل لله ولا يطيع أمر الله، ليس بساجد وإن وضع جبهته على الأرض. فالسجود الحقيقي إذن هو الطاعة وامتثال الأمر الإلهي، وربما تم دون وضع الجبهة على الأرض، وربما لا يتم بوضع الجبهة على الأرض.

فإبليس لم يرفض السجود لله، **(بل له سجدة ستة آلاف عام)**^(٢)، ولكنه رفض أن تكون قبلته في السجود لله آدم عليه السلام، فهو في حقيقة أمره متكبر على الله وليس بخاضع ولا متذلل ولا

(١) يوسف: ٤.

(٢) من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام: (... فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذا أحبط عمله الطويل وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سني الدنيا أم سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصية؟ كلا، ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد. وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه على العالمين) نصح البلاغية:

ج ٢، خطب الإمام علي عليه السلام، ص ١٣٨.

مطيع لأمر الله. وهو من الساجدين لله الذين حق عليهم العذاب؛ لأنه لم يتخذ القبلة التي أمره الله أن يتخذها، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ الْمَسْجُودُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالِدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١).

فهؤلاء الذين حق عليهم العذاب يوصفون بأنهم يسجدون لله، ولكنه ليس سجوداً حقيقياً، لأنهم لم يطيعوا الله في السجود له سبحانه من حيث يريد وإلى القبلة التي أمرهم بها.

وباختصار، فإن المطيع لأمر أحد طاعة مطلقة فهو عبد ساجد لهذا المطاع، ولذا قال تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢)، أي عبدوا علماءهم وغيرهم؛ لأنهم أحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

وعن أبي بصير، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون)^(٣).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: (من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده)^(٤).

فمن يعص الله فهو ليس عابداً ولا ساجداً لله بقدر تلك المعصية، فإذا كانت المعصية متعلقة بالقبلة التي يتوجه إليها حال سجوده وطاعته (أي أنه اتخذ قبلة غير القبلة التي أمره الله بها)، فإنه في كل عمله عاصٍ وليس عابداً ولا ساجداً لله، (ولا تزيده سرعة السير إلا بعداً)^(٥)، قال

(١) الحج: ١٨.

(٢) التوبة: ٣١.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٨ ح ٧.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٩٨ ح ٨.

(٥) عن طلحة بن زيد، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بعداً) الكافي: ج ١ ص ٤٣ ح ١.

تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١).

فهكذا إنسان تولى الشر والشيطان والظلمة، ليس على جادة الطريق التي توصل إلى الهدف، بل مستدبراً القبلة التي توصله إلى الله فتكون سرعة سيره (سجوده وعبادته وطاعته المدعاة) سبباً في إيصاله إلى هاوية الجحيم لأن كل أعماله (سجوده، عبادته، طاعته) يستقبل بها قبلة لم يأمره الله بها، بل نهاه الله عن استقبالها فيكون سجوده، عبادته طاعته، كلها مبنية على المعصية والذنب فتكون معاصياً وذنوباً.

فلا صام ولا صلى، بل أذنب وعصى ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾^(٢)، أي إن الأولى هو التصديق بولي الله وحجته وخليفته سبحانه (الرسول سواء كان نبياً أو وصياً)، والصلاة معه، وهي الولاية لولي الله؛ لأنها ولاية الله والسجود لولي الله، أي طاعته؛ لأنه سجد لله وطاعة لله، ودون الخضوع لولي الله لا تنفع الأعمال الظاهرية.

عَنِ الْفَضِيلِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: (نَظَرَ إِلَى النَّاسِ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ عليه السلام: هَكَذَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهَا ثُمَّ يَنْفِرُوا إِلَيْنَا فَيُعَلِّمُونَا وَلَا يَتَّبِعُونَ مَوَدَّتَهُمْ وَيَعْرِضُونَ عَلَيْنَا نُصْرَتَهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ آيَةَ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنْ نَدَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٣)، ولم ينفذ كفار قريش (الأحناف المنحرفين) حجهم بيت الله، ومع أنهم كانوا يلبون^(٥)، فإن تلبيتهم عند الله لم تعد التصفيق والتصفير، لأنها هكذا كانت تسمعه الملائكة

(١) النساء: ١١٥.

(٢) القيامة: ١٣ - ٣٥.

(٣) إبراهيم: ٣٧.

(٤) الكافي: ج ١ ص ٣٩٢ ح ١.

(٥) في الجاهلية وقبل الإسلام كانت تلبية قريش: (ليبيك اللهم ليبيك، ليبيك لا شريك لك، تملكه وما ملك). وكانت تلبية كنانة: (ليبيك اللهم ليبيك، اليوم يوم التعريف، يوم الدعاء والوقوف). وكانت تلبية بني أسد: (ليبيك اللهم ليبيك، يا رب أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد إليك). وكانت تلبية بني تميم: (ليبيك اللهم ليبيك، ليبيك ليبيك عن تميم قد تراها قد أخلقت أنوبها وأثواب من وراءها، وأخلصت لربها دعاءها). وكانت تلبية قيس عيلان: (ليبيك اللهم ليبيك، ليبيك أنت

١٠.....إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

وهكذا ترفع ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(١).

وكذلك من يصلي ولم يتخذ القبلة التي أمره الله بها، فلا تعدو صلاته التصفيق والتصغير، وحجه كذلك عند الله.

فإذا علمنا أن الله لم ينظر إلى الأجسام منذ خلقها^(٢)، فلا يكون سجود الأجسام إلا مرشداً ودليلاً يدل على الحقيقة ويشير إليها، وهذه الحقيقة هي الطاعة وامثال الأمر الصادر من الله سبحانه وتعالى، فإذا كان لسجود الأجسام قبلة وهي الكعبة، فلا بد أن يكون لسجود الأرواح قبلة، وقبلة الأرواح هو ولي الله (حجة الله على خلقه) فبطاعته يطاع الله وبمعصيته يعصى الله، ولذلك كان الأمر للملائكة (الأرواح) هو السجود لآدم (الإنسان الكامل).

والإسلام والسجود واحد، فالإسلام هو التسليم، والتسليم هو الطاعة المطلقة، فالمسلم هو المسلم لله سبحانه وتعالى، وهذا التسليم (السجود) لا بد له من قبلة فقبلته هو ولي الله (حجة الله على خلقه)، فليس بمسلم حقيقي من أعرض عن قبلة التسليم التي فرضها الله وهي (حجة الله) المتمثلة بخليفة الله في أرضه.

روى الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله بإسناده إلى الفضل بن شاذان عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: (أنتم الصلاة في كتاب الله **عَبَّكُ** وأنتم الزكاة وأنتم الحج ؟

الرحمن، أتتكم قيس عيلان راجلها والركبان). وكانت تلبية ثقيف: (لبيك اللهم، إن ثقيفاً قد أتوك واخلفوا المال، وقد رجوك). وكانت تلبية هذيل: (لبيك عن هذيل قد ادلجوا بليل في ابل وخيل). وكانت تلبية ربيعة: (لبيك ربنا لبيك لبيك، إن قصدنا إليك)، وبعضهم يقول: (لبيك عن ربيعة، سامعة لربها مطيعة). وكانت حمير وهمدان يقولون: (لبيك عن حمير وهمدان، والحليفتين من حاشد وأهان). وكانت تلبية الأزد: (لبيك رب الأرباب، تعلم فصل الخطاب، لملك كل مثاب). وكانت تلبية مذحج: (لبيك رب الشعري، ورب اللات والعزى). وكانت تلبية كندة وحضرموت: (لبيك لا شريك لك، تملكه أو تهلكه، أنت حكيم فاتركه). وكانت تلبية غسان: (لبيك رب غسان راجلها والفرسان). وكان تلبية بجيلة: (لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة). وكانت تلبية قضاة: (لبيك عن قضاة، لربها دفاعة، سمعاً له وطاعة). وكانت تلبية جذام: (لبيك عن جذام ذي النهى والأحلام) تاريخ يعقوبي: ج ١ ص ٢٥٥.

(١) الأنفال: ٣٥.

(٢) في تفسير الفاتحة للملا صدرا: قال الرسول ﷺ: (إن الله لم ينظر إلى الأجسام منذ خلقها).

إضاءات من دعوات المرسلين - الجزء الثالث / القسم الأول ١١

فقال: يا داود نحن الصلاة في كتاب الله ﷻ، ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله، قال الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، ونحن الآيات ونحن البيئات، وع مدونا في كتاب الله ﷻ: الفحشاء والمنكر والبغي والخنزير والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبست والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير، يا داود إن الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزانه على ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أصداداً وأع مداءً، فسمانا في كتابه وكنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه، وسمى أصدادنا وأع مداءنا في كتابه وكنى عن أسمائهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين^(١).

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعُ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وليس لله وجه كالوجود، ومن اعتقد هذا فهو مجسم ككافر كفار قريش بل أشد كفراً.

فالوجه هو ما يواجه به، ووجه الحقيقة والكنه سبحانه وتعالى (هو) الذي واجه به محمد مداءً هو الذات المقدسة (الله) سبحانه وتعالى، أما وجه الذات المقدسة أو (الله) الذي واجه به خلقه فهم حجج الله ﷺ، فهم وجه الله وهم الأسماء الحسنى التي واجه به سم الله الخلاق فبمعرفةهم يعرف الله سبحانه وتعالى.

وكمثال فأنت تعرف الناس بوجوههم فتقول هذا فلان وهذا فلان إذا نظرت في وجوههم. وكذا الله سبحانه وتعالى، فأنت إذا نظرت إلى وجهه سبحانه وتعالى، (أي الأنبياء والأوصياء والمرسلين)، تعرفه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

(١) بحار الأنوار : ج ٢٤ ص ٣٠٣.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) الفتح: ١٠.

واليد التي وضعت فوق أيدي المبايعين هي يد محمد عليه السلام، ومع ذلك قال تعالى عنها: (يُدُّ اللَّهُ)؛ لأن محمداً عليه السلام هو الله في الخلق.

فأينما تتجهون فإن قبلكم إلى الله هي وجه الله (ولي الله وحجته على خلقه)؛ لأن روحه لا تقيد بقيد الأجسام فهي موجودة ومحيطة بكم من كل الجهات، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، بل لو تفقهون هذه الكلمات لعرفتم الحقيقة، قال محمد عليه السلام هم الطعام الذي تأكلون والماء الذي تشربون والهواء الذي تتنفسون، قال عيسى عليه السلام: (أنا خبز الحياة) ^(١)، وآل محمد هم موسى وهامان وهم إبراهيم ونمرود وهم نار إبراهيم وهم بردها وسلامها. فقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ^(٢)، وآل محمد هم الرحمن في الخلق وهم صنائع الله والخلق صنائع لهم، وخلقهم الله، ومنهم عليه السلام خلق الخلق ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ^(٣).

إذن، فهو أحسن الخالقين وغيره خالقون، ولكنه خالق مطلق، لا يحتاج إلى غيره وهو من يحتاجون إليه سبحانه، فعيسى عليه السلام يخلق ولكنه فقير إلى الله ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٤).

وكذلك محمد وآل محمد عليهم السلام، فأصبعي الرحمن هما الشيطان والمَلَك، وقلب الإنسان بينهما، فالشيطان يوسوس ويضل، والمَلَك يرشد ويهدي، والشياطين والملائكة موجودون ومتقومون بآل محمد، وآل محمد موجودون ومتقومون بمحمد عليه السلام، ومحمد عليه السلام موجود ومتقوم بالله، وأيضاً الكل موجودون ومتقومون بالله. فأينما تولوا وجوهكم فثم آل محمد عليهم السلام لأنهم وجه الله ﴿فَإَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

إذا تبين هذا نعود إلى سجود يعقوب وأم وإخوة يوسف إلى يوسف عليه السلام.

(١) الكتاب المقدس مجمع الكنائس الشرقية: ص ٣٠٧.

(٢) قال رسول الله عليه السلام: (قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن) شرح أصول الكافي: ج ١ ص ٣٠٢.

(٣) المؤمنون: ١٤.

(٤) آل عمران: ٤٩.

فيوسف عليه السلام يرى في المنام: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١) وتحققت الرؤيا في هذا العالم الجسماني هكذا: ﴿وَرَفَعَ أَبْوَيْهَ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

فيوسف عليه السلام بعد أن رفع أبويه على العرش سجدوا له وتحققت الرؤيا، أي إن يوسف عليه السلام بعد أن بين مقام والديه وكونهما أصحاب الحق بالملك الإلهي والعرش الرباني، خروا له سجداً، إعظاماً لمقامه واعترافاً بأن يوسف عليه السلام هو خليفة الله وحقته على عباده، فالسجود ليوسف عليه السلام كونه قبلة إلى الله، فبه يعرف الله، والسجود ليوسف عليه السلام أي طاعة يوسف والإلتزام بأمره هو طاعة الله، قال الصادق عليه السلام: (كَانَ سُجُودُهُمْ ذَلِكَ عِبَادَةً لِلَّهِ)^(٣).

ويجدر الالتفات إلى أن يعقوب عليه السلام نبي ولم يسجد ولم ينصاع لطاعة يوسف عليه السلام إلا بأمر الله، كما أن الملائكة سجدوا لآدم وانصاعوا لطاعته بأمر الله، وكما انصاع أبو طالب عليه السلام لطاعة ابن أخيه وربيه محمد عليه السلام لما بعث، مع إن أبا طالب عليه السلام وصي من أوصياء إبراهيم عليه السلام، وكان الحجة من الله على محمد عليه السلام قبل أن يبعث، وكما سجد يحيى عليه السلام وهو في بطن أمه إلى عيسى عليه السلام وهو في بطن أمه، وليس في هذا شرك كما يتوهم من يجهل الحقيقة، لأننا نسجد إلى الكعبة وهي حجر، لأن الله أمرنا بذلك، فماذا تريدون أن يفعل الملائكة إذ أمرهم الله أن يسجدوا لآدم ويجعلوه قبلتهم إلى الله، وآدم نبي وهو الطريق لمعرفة الله، وكذا ماذا تريدون من يعقوب عليه السلام أن يفعل إذ أمره الله أن يسجد ليوسف عليه السلام ويجعله قبلته إلى الله، هل تريدون من يعقوب عليه السلام وهو نبي أن يعصي أمر الله ويخضع لثلة من الأعراب العجاف (الوهابيين وأشباههم)؟! الذين لم يفقهوا آية من كتاب الله، وهم يصرخون: هذا شرك هذا شرك. فأين أنتم من تسليم أصحاب رسول الله لما بدّل الله القبلة، فمجرد أن أدار رسول الله وجهه داروا وجوههم معه.

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٣١٩.

قال الباقر عليه السلام: (وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو البيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يتمكن استقبال البيت المقدس كيف كان فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاثة عشر سنة، فلما كان بالمدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً، وجعل قوم من مرادة اليهود يقولون: والله ما درى محمد كيف صلى حتى صار يتوجه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدانا ونسكنا، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاءه جبرائيل عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل لوددت لو صرفني الله تعالى عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلتهم، فقال جبرائيل: فاسأل ربك أن يحولك إليها فإنه لا يردك عن طلبتك ولا يخيبك من بغيتك فلما استتم دعاءه صعد جبرائيل ثم عاد من ساعته فقال: اقرأ يا محمد: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١) الآيات. فقالت اليهود عند ذلك: ﴿مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾، فأجابهم الله أحسن جواب فقال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، وهو يملكهما، وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، هو مصلحتهم وتوذيدهم طاعتهم إلى جنات النعيم).

فقال أبو محمد عليه السلام^(٣): (وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشر سنة ثم تركتها الآن أفحماً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل وإنما يخالف الحق الباطل، أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة؟ فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقاً وهذا حق يقول الله: قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) البقرة: ١٤٢.

(٣) أي الإمام الحسن العسكري عليه السلام؛ لأن الحديث وارد في تفسيره.

المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله في عباده وقصده إلى مصالحكم فقال رسول الله ﷺ: لقد تركتم العمل في يوم السبت ثم عملتم بعده سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده أفتركتم الحق إلى باطل أو الباطل إلى حق أو الباطل إلى باطل أو الحق إلى باطل؟ قولوا كيف شئتم. فهو قول محمد ﷺ وجوابه لكم قالوا: بل ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق، فقال رسول الله ﷺ: فكذلك قبله بيت المقدس في وقته حق ثم قبله الكعبة في وقته حق فقالوا: يا محمد أفبدا لربك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حتى نقلك إلى الكعبة؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً يخالف المتقدم، جل عن ذلك، ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده، وليس يبدو إلا لما كان هذا وصفه، وهو ﷻ متعال عن هذه الصفات علواً كبيراً. ثم قال لهم رسول الله ﷺ: أيها اليهود أخبروني عن الله، أليس يمرض ثم يصح، ويصح ثم يمرض؟ أبدا له في ذلك؟ أليس يجي ويميت؟ أبدا له في كل واحد من ذلك؟ فقالوا: لا، قال: فكذلك الله تعبد نبيه محمداً بالصلاة إلى الكعبة بعد أن تعبد بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له في الأول، ثم قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أتر الصيف والصيف في أتر الشتاء؟ أبدا له في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: فكذلك لم يبد له في القبلة، قال: ثم قال: أليس قد ألزمتكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة وألزمتكم في الصيف أن تحترزوا من الحر؟ فبدا له في الصيف حتى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: فكذلك الله تعبدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء، ثم تعبدكم في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر، وإذا أطعمتم الله في الحالتين استحققتن ثوابه، وأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، يعني إذا توجهتم بأمره فشم الوجه الذي تقصدون منه الله وتأملون ثوابه. ثم قال رسول الله ﷺ: يا عباد الله أنتم كالمرضى، والله رب العالمين كالطبيب فصالح المرضى فيما يعلمه الطبيب ويدبره به، لا فيما يشتهي المريض ويقترحه، ألا فسلموا الله

أمره تكونوا من الفائزين فقليل: يا ابن رسول الله فليَمَ أمر بالقبلة الأولى؟ فقال: لما قال الله **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾** وهي بيت المقدس **﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾**^(١)، إلا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، وذلك أن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمد ﷺ من مخالفه بإتباع القبلة التي كرهها، ومحمد ﷺ يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة ليبين من يوافق محمداً فيما يكرهه فهو مصدقه وموافقه. ثم قال: وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله إنما كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت كبيرة إلا على من يهدي الله فعرف أن الله يتعبد بخلاف ما يريد المرء لبيتلى طاعته في مخالفة هواه^(٢).

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٠٥ - ١٠٧.

إضاءة من فاتحة سورة يوسف

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

في هذه الآيات تفتتح مسيرة يوسف عليه السلام إلى الله، أنها تذكير من الله العليم الحكيم ليوسف عليه السلام بحقيقته التي ارتقاها في عالم الذر وغفل عنها بسبب حجاب الجسد لما خلقه الله وأنزل به إلى هذا العالم الظلماني (عالم الأجسام)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢)، أي إنكم كنتم في عالم الذر مخلوقين وامتحنكم الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(٣).

(١) يوسف: ٤ - ٦.

(٢) الواقعة: ٦٢.

(٣) الأعراف: ١٧٣ - ١٧٢، وهذه الآية فيها رد على من يقول ما ذنب من لم يصل إليه الإسلام ولم يبلغ برسالات السماء كمن عاش في جهال أفريقيا أو في أطراف الأرض أو في أرض بعيدة عن أرض المرسلين عليهم السلام، والرد أن الآية الأولى تثبت أن الناس تم امتحانهم وكل أخذ مقامه وتبين حاله واستحقاقه والآية الثانية تبين أنهم غير معذورين باتباع ضلال آبائهم في هذه الأرض أو أنهم عاشوا في أرض لم يطأها نبي ولم يصل لها الحق ولم يبلغهم به أحد لان الله يقول لهم إني امتحنتكم في عالم الذر وعلمت حالكم واستحقاقكم فلا تقولوا (إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) الأعراف: ١٧٣، أي أن الله يقول لهم أنا أعلم انه لو جاءكم الأنبياء والأوصياء والمرسلون وبلغكم برسالات السماء المبلغون لما أمتتم ولما صدقتم (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) الأنفال: ٢٣، أما من يقول فلماذا لم يسووا مع الكفار في أرض الرسالات في إيصال البلاغ ف الرد أن تبليغ هؤلاء فضل على من لا يقبل الفضل ولا يستحقه وأنت تعلم علم مسبق انه لا يقبله يقيناً فعرضه عليه تحصيل حاصل، وبالتالي فلا يضر أن تعرضه على بعضهم لبيان أن الباقي كهؤلاء الذين عرض عليهم الحق فلم يقبلوه فالعرض على بعضهم لإتمام الحجة وانه لا عذر لمن يقول (إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ)؛ لأن نظرائهم عرض عليهم الحق

وفي دعاء يوم الغدير الذي رواه عمارة بن الجوين أبي هارون العبدي، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (... فمن صلى ركعتين، ثم سجد وشكر الله عز وجل مائة مرة، ودعا بما به لا الدعاء بعد رفع رأسه من السجود، الدعاء: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد مدوح مدك لا شريك لك، وأنت واحد أحد صمد، ولم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد، وأن محمد مد عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله. يا من هو كل يوم في شأن، كما كان من شأنك أن تفضلت عليّ بأن جعلتني من أهل أجابتك وأهل دينك وأهل دعوتك، ووفقتني لذلك في مبتدأ خلقي تفضلاً منك وكرماً وجوداً، ثم أردفت الفضل فضلاً، والجود جوداً، والكرم كرماً، رافة منك ورحمة إلى أن جددت ذلك العهد لي تجديداً بعد تجديدي خلقي، وكنتم نسياً منسياً ناسياً ساهياً غافلاً. فأقمت نعمتك بأن ذكرتني ذلك ومننت به عليّ وهديتني له فليكن من شأنك يا الهي وسيدي ومولاي، أن تتم لي ذلك ولا تسلبنيه حتى تتوفاني على ذلك، وأنت عنى راض، فانك أحق المنعمين أن تتم نعمتك عليّ، اللهم سمعنا وأجبنا داعيك بمنك فلك الحمد، غفرانك ربنا واليك المصير، آمنا بالله وحده لا شريك له، وبرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصدقنا وأجبنا داعي الله واتبعنا الرسول في موالاته مولانا ومولى المؤمنين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عبد الله وأخي رسوله، والصديق الأكبر، والحجة على بريته، المؤيد به نبيه ودينه الحق المبين، علما لدين الله، وخازنا لعلمه، وعيبة غيب الله، وموضع سر الله، وأمين الله على خلقه، وشاهده في بريته. اللهم إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم، فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد. فإنا يا ربنا بمنك ولطفك أجبننا داعيك، واتبعنا الرسول وصدقناه وصدقنا مولى المؤمنين، وكفرنا بالجبت والطاغوت، فولنا ما تولينا، واحشرونا مع أئمتنا فإنا بهم مؤمنون موقنون ولهم مسامحة لمؤمن. آمننا بسيرهم وعلانيتهم، وشاهدتهم وغائبهم، وحيهم، ورضينا بهم أئمة وقادة وسادة، وحسابنا بهم بيننا

فاختاروا ضلال آبائهم على هدى المرسلين (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرآنة من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) الزخرف: ٢٣، بل جعلوا ضلال آبائهم هو الهدى والحق (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) الزخرف: ٢٢.

إضاءات من دعوات المرسلين - الجزء الثالث / القسم الأول ١٩

وبين الله دون خلقه لا نبتغى بهم بدلاً، ولا نتخذ من دونهم وليجة، وبرئنا إلى الله من كل من نصب لهم حرباً من الجن والإنس من الأولين والآخرين، وكفرنا بالجبت والطاغوت والأوثان الأربعة وأشياعهم وأتباعهم وكل من والاهم من الجن والإنس من أول الدهر إلى آخره ...^(١).

وقوله ﷺ: (بعد تجديدك خلقي): أي انك خلقتني في هذه الدنيا بعد أن خلقتني في الذر، وقوله ﷺ: (جددت ذلك العهد لي تجديداً): أي ذكرتني وجعلتني أقر بولاية أوليائك ملك (الأنبياء والأوصياء ﷺ) في هذه الدنيا كما أقرت بها لما خلقتني في الذر بفضلك.

فلماذا لا تتذكرون، وأيضاً لماذا لا تسعون إلى الله ليذكركم؟! وتتذكرون لما ترفع الحجب ويكشف للإنسان حقائق الملكوت كأنباء الله ﷻ ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٢).

وأيضاً الخطاب في أول سورة يوسف ﷻ للرسول ﷺ وهو خير خلق الله ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾^(٣)، أي إنك يا محمد ﷺ أنزلت إلى هذا العالم، وحجت عنك حقيقتك وامتحنتك الله بهذا الامتحان الثاني في هذا العالم، وكنت الفائز بالسباق مرة أخرى، بعد أن كنت الفائز بالسباق في الامتحان الأول في عالم الذر، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤).

(١) إقبال الأعمال السيد ابن طاووس الحسني: ج ٢ ص ٢٧٧.

(٢) الأنعام: ٧٥.

(٣) يوسف: ٣.

(٤) الشورى: ٥٢.

قال رسول الله ﷺ (لم أكن أعلم ذلك حتى عرفنيه الآن جبرائيل عليه السلام، وما كنت أعلم شيئاً من كتابه ودينه أيضاً حتى علمني به ربي، قال الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (١).

وَعَنْ أَبِي حَمَزَةَ، قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْعِلْمِ أَهْوَى عِلْمٌ يَتَعَلَّمُهُ الْعَالِمُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، أَمْ فِي الْكِتَابِ عِنْدَكُمْ تَقْرَءُونَهُ فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ؟ قَالَ عليه السلام: **الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَوْجِبُ أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَمَا الْإِيمَانُ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيَقْرُونَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا يَقُولُونَ. فَقَالَ لِي: بَلَى قَدْ كَانَ فِي حَالٍ لَا يَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّوحَ الَّتِي ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ، فَلَمَّا أَوْحَاهَا إِلَيْهِ عَلَّمَ بِهَا الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ وَهِيَ الرُّوحُ الَّتِي يُعْطِيهَا اللَّهُ تَعَالَى مَنْ شَاءَ، فَإِذَا أَعْطَاهَا عَبْدًا عَلَّمَهُ الْفَهْمَ﴾ (٢).**

إذن، فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام ممتحنون بهذا العالم، فكما حجب غيرهم وأغفل عن الامتحان الأول والإيمان الأول في عالم الذر، حججوا عليهم السلام ليكون هذا الامتحان الثاني عادلاً فالكل أغفلوا عن عالم الذر بحجاب الجسد، والمطلوب تجريد الروح بمرتبة ليعرف الإنسان الحقيقة وينظر في ملكوت السموات، وقد تجرد الأنبياء والأوصياء، والمطلوب من الكل التجرد لينجحوا في الامتحان كما أن الله سبحانه وتعالى ساوى كل بني آدم في الفطرة لتتم كلمته سبحانه أنه هو العادل الحكيم، فالكل مفطورون على معرفة أسماء الله سبحانه، ليكونوا وجه الله وأسماءه الحسنی، وكل من قصر فحظه ضيَّع.

إذن، فهذه الرؤيا تذكير ليوسف عليه السلام، بل وتذكير ليعقوب وتعريف له بهذا الابن، فهو وصيه والحجة من بعده، كحال رؤيا الإمام موسى بن جعفر التي نصت على إمامة الرضا من بعده.

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٤١.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٧٤ ح ٥.

إضاءات من دعوات المرسلين - الجزء الثالث / القسم الأول ٢١

عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن أسباط، عن الحسين مولى أبي عبد الله، عن أبي الحكم، عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري، عن يزيد بن سليط الزيدي، قال: (لقينا أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة ونحن جماعة، فقلت له: بأبي أنت وأمي أنتم الأئمة المطهرون والموت لا يعرى أحد منه فأحدث إلي شيئاً ألقيه إلى من يخلفني، فقال لي: نعم هؤلاء ولا مدي وهذا سيدهم وأشار إلى ابنه موسى عليه السلام وفيه العلم والحكم والفهم والسخاء والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ...

وقال يزيد: ثم لقيت أبا الحسن يعني موسى بن جعفر عليه السلام بعد فقلت له: بأبي أنت وأمي إني أريد أن تخبرني بمثل ما أخبرني به أبوك، قال: فقال: كان أبي عليه السلام في زمن ليس هذا مثله، قال يزيد فقلت: من يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله، قال: فضحك، ثم قال: أخبرك يا أبا عمارة إني خرجت من منزلي فأوصيت في الظاهر إلى بني فاشركتهم مع ابني علي وأفردته بوصيتي في الباطن ولقد رأيت رسول الله في المنام وأمير المؤمنين عليه السلام معه ومعه خاتم وسيف وعصا وكتاب وعمامة، فقلت له: ما هذا، فقال: أما العمامة فسلطان الله تعالى عليه السلام وأما السيف فعزة الله عليه السلام وأما الكتاب فنور الله عليه السلام وأما العصا فقوة الله عليه السلام وأما الخاتم فجامع هذه الأمور، ثم قال رسول الله عليه السلام: والأمر يخرج إلى علي ابنك، قال ثم قال: يا يزيد إنها وديعة عندك فلا تجرب بها إلا عاقلاً أو عبداً امتحن الله قلبه للإيمان أو صادقاً ولا تكفر نعم الله تعالى وإن سئلت عن الشهادة فأدها فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١)، وقال الله عليه السلام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢)، فقلت والله ما كنت لأفعل هذا أبداً.

قال: ثم قال أبو الحسن عليه السلام: ثم وصفه لي رسول الله عليه السلام فقال: علي ابنك الذي ينظر بنور الله ويسمع بتفهيمه وينطق بحكمته يصيب ولا يخطئ ويعلم ولا يجهل وقد ملئ حكماً وعلماً وما أقل مقامك معه، إنما هو شيء كان لم يكن فإذا رجعت من سفرك فأصلح أمرك وأفرغ مما أردت فإنك منتقل عنه ومجاور غيره، فاجمع ولدك وأشهد الله عليهم جميعاً وكفى

(١) النساء: ٥٨.

(٢) البقرة: ١٤٠.

بالله شهيداً. ثم قال: يا يزيد إني أؤخذ في هذه السنة وعلي ابني سمي علي بن أبي طالب عليه السلام وسمي علي بن الحسين عليه السلام، أعطي فهم الأول وعلمه ونصره وردائه، وليس له أن يتكلم إلا بعد هارون بأربع سنين، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عما شئت يجيبك إن شاء الله تعالى^(١).

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٢):

هذه الآية تبين أن الإنسان مفطور على الانجذاب إلى عالم الملكوت والرؤيا من هذا العالم القدسي، فالإنسان مفطور على تقبل الرؤيا وتصديقها والتفاعل معها، بل الرؤيا في كثير من الأحيان عبارة عن إخبار غيبي عما سيحصل في المستقبل، وهذا نراه في واقعنا، كما نراه ذكر في القرآن والتوراة والإنجيل، فكل ما حصل في الملكوت حصل في الأرض. فأخوة يوسف إذا قص عليهم الرؤيا سيعلمون أنه خليفة الله ووصي يعقوب عليه السلام دونهم، وربما تعاد قصة ابني آدم لذا حذر يعقوب عليه السلام يوسف عليه السلام أن يقص الرؤيا على إخوته، لأنهم بهذا الخبر الآتي من ملكوت السماوات، سيعلمون من حال يوسف عليه السلام ما يسعر الحسد في نفوسهم ويجعلهم غرضاً للشيطان ليستفزهم بندائه ويعديهم بدائه.

لكن يعقوب عليه السلام الذي نهي يوسف عن قص الرؤيا أصبح شديد الاهتمام بيوسف عليه السلام، وكان هذا الاهتمام قرينة لله، لأن يوسف عليه السلام ولي من أولياء الله ووصي يعقوب عليه السلام، لكن هذا الاهتمام أمسى سبباً ليكون يوسف غرضاً لكيد إخوته ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)، فهم يرون أنهم أحق باهتمام يعقوب عليه السلام لأنهم أحق بخلافته من يوسف عليه السلام، ويرون أن اعتماد يعقوب عليه السلام على الرؤيا في تحديد وصيه يوسف عليه السلام ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فلم يكونوا ليصدقوا بالرؤيا لأنها خالفت أهواءهم ولا ذكروا ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٤ - ٢٦.

(٢) يوسف: ٥.

(٣) يوسف: ٨.

إضاءات من دعوات المرسلين - الجزء الثالث / القسم الأول..... ٢٣
صَالِحِينَ ﴿١﴾، قَوْمًا صَالِحِينَ أَرَادُوا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ أَوْصِيَاءَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ،
فهنا تكررت قصة الحسد الأولى على هذه الأرض، قصة ابني آدم.

وكذلك يوسف هو وصي الإمام المهدي عليه السلام وابنه، وإخوته هم علماء دين:

• عن سدير، قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن في القائم سنة من يوسف، قلت كأنك تذكر خبره أو غيبته؟ فقال لي: وما تنكر هذه الأمة أشباه الخنازير أن أخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا بيوسف وباعوه وهم أخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتى قال لهم: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله ﷻ في وقت من الأوقات يريد أن يسترحمهم لجدته عنهم لقد كان يوسف يوماً ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يعرفه مكانه لقد علم على ذلك والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة في تسعة أيام إلى مصر، فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله ﷻ يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير فيما بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله ﷻ له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف عليه السلام حين قال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَلَيْسَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ (٢) (٣).

• وقال الإمام الباقر عليه السلام: (إن صاحب هذا الأمر فيه سنة من يوسف ابن أمة سواد، يصلح الله ﷻ أمره في ليلة واحدة) (٤).

فكل ما جرى ليوسف يجري للمهدي الأول وصي الإمام المهدي عليه السلام واليماني الموعود.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٥):

(١) يوسف: ٩.

(٢) يوسف: ٨٩، ٩٠.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص ١٤٤.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص ٣٢٩.

(٥) يوسف: ١٠.

وهذه الآية تكررت مع عيسى عليه السلام فلما أراد علماء اليهود لعنهم الله قتله اعترض على يهيم أحدهم ﴿قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ﴾ لا تقتلوا عيسى عليه السلام

وهذا يدل على علماء الدين غير العاملين في كل زمان يحاولون قتل الأنبياء والأوصياء لكي لا يتبعهم الناس وينجون من النار المستعرة في قلوب هؤلاء العلماء غير العاملين، ولكن يبقى إلى الناس يتوهمون أن العلماء غير العاملين هم الطريق إلى الله بينما هم طريق إلى الشيطان وإلى جهنم بل هم جهنم، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(١).

وكما عادت هذه الآية مع علي عليه السلام وصي رسول الله وعادت مع وصي الإمام المهدي عليه السلام، فتدبروا يا أولي الألباب فإن في قصصهم عبرة فاعتبروا بها وتعلموا منها، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فالامتحان كل مرة يعاد وكل مرة تفشلون وبين قولين ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ ... وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾، وهكذا كل مرة ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٣).

متى تلتفتون إلى آيات الله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ﴾^(٤)، الآن التفتوا فإن في قصة يوسف آيات للسائلين، سائلين الله تمام العقل، في سورة يوسف ذكر مرتبة النبوة وليس الرسالة كما بينت، فسورة يوسف في مقام بيان المواجهة بين العبد وربّه، بين الرسول وربّه، وليست في مقام بيان مواجهة الرسول مع الناس، فهي في بيان النبوة لا في بيان الرسالة، ولذلك فهي آيات لسائلين الله تمام العقل، آيات لأولياء الله، آيات لأصحاب القائم عليه السلام، آيات للسائلين إلى الله، آيات في طريق الله لسائلين الله الهداية، وقد بينت تعالى في أول سورة يوسف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥)، أي ترتقون إلى السماء السابعة الكلية سماء العقل فتتم عقولكم.

(١) القصص: ٤١.

(٢) يوسف: ١١١.

(٣) البقرة: ٨٧.

(٤) يوسف: ٧.

(٥) يوسف: ٢.

ولا يبعث نبي حتى يتم عقله، ويمسح القائم عليه السلام (وهو يد الله) على رؤوس أصحابه فتتم عقولهم، أي يمسح على رؤوسهم بالعلم وتتم عقولهم إذا عملوا بهذا العلم وارتقوا في ملكوت السماوات إلى السماء السابعة، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

إضاءة من قصة ابني آدم وإخوة يوسف ﷺ

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ طِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(١).

هاويل تقبل الله منه وأصبح وصي آدم ﷺ وقاويل لم يتقبل الله منه، فحسد قاويل هاويل هادى له وهدده بالقتل، فكان رد هاويل: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ طِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وقاتل قاويل هاويل ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، إذن ندم وخسارة لا دنيا ولا آخرة.

لم يكن الأوصياء ﷺ ينظرون أن الدنيا شيء، لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فمالهم ومملك لا يبقى وذكر في الدنيا يفنى مع فنائها.

وهذه الحالة (حالة ابني آدم) كم تكررت، ولذا قال تعالى: أتل، أي اقرأها عليهم وبينها لهم وعرفهم بها؛ لأنها حالة تتكرر في كل زمان ومع كل وصي، فهذا السامري ابن خالته موسى ﷺ وقائد جيشه يحسده ويقتله، لأنه قتل قضية موسى ﷺ، لما أضل بني إسرائيل، بل أراد ومن كان معه قتل هارون ﷺ وصي موسى ﷺ، ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَيْتُمُ النَّارَ فِي الْأَفْوَاهِ وَأَخَذْتُمْ بِرُءُوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ

وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

ومع هذا فإن موسى عليه السلام لما رجع لم يقتل السامري بل ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ ^(٢)، وكأهما هاييل وقايل، حالة تتكرر مع كل وصي، فهذا يهوذا الاسخريوطي يريد قتل عيسى عليه السلام وتسليمه لعلماء بني إسرائيل، وهكذا مع كل وصي تجد قايل وسامري ويهوذا الاسخريوطي، فمع علي عليه السلام تجد عمر حسده وقتله لما قتل قضيته واغتصب إمامته، والأوصياء عليهم السلام ينظرون إلى هداية الناس وتعريفهم بالله، وهؤلاء قايل والسامري ويهوذا الاسخريوطي وعمر ينظرون إلى الملك والذكر في هذه الدنيا الفانية الزائلة مع أهلها وذكرها.

﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾ في كل زمان اتل عليهم، أي في كل زمان تجدون ابني آدم، وصي مظلوم مهضوم مغصوب الحق مقتول شخصه أو شخص بيته، وقاة مل ملعون يغتصب حق الوصي، في كل زمان تتلى هذه الآية في أرض الواقع ولا يلتفت الناس ولا يتعضون ولا يتذكرون، بل تستمر الغفلة والجهل، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ^(٣).

وكذا الحال مع يوسف عليه السلام وإخوته ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْهُبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ^(٤). ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بني إسرائيل: هم أولاد يعقوب عليه السلام، الأسباب والمراد منهم هنا الأوصياء عليهم السلام، وفي هذه الأمة هم آل محمد عليهم السلام المفضلون على العالمين: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ^(٥)، ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي على الأوصياء ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، فمن قتل وصياً قتل كل الناس، لأن الوصي والنبى هو أبو الأمة وقائدها وإمامها، فالذي يقتل شخص أو شخصية الإمام، يقتل الأمة، لأنه يتسبب في ضلالها وانحرافها، ومن نصر الوصي أو النبي وأظهر أمره

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) ط ه: ٩٧.

(٣) الروم: ٧.

(٤) يوسف: ١٣.

(٥) البقرة: ٤٧.

وأيدته وبيّن أمره للناس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ .
والرسل عليهم السلام جاءوا بالبينات ومع ذلك فإن الناس قتلوهم، قتلوا أشخاصهم وشخصياتهم،
واتبعوا كل مسرف متكبر ملعون ينتحل مقام الأوصياء عليهم السلام كالسامري وأمثاله ﴿وَلَقَدْ
جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾، وكذا الحال مع
وصي الإمام المهدي عليه السلام فمن أحياه فكأنما أحيى الناس، كل أهل الأرض، لأنه بعث ليهدي
أهل الأرض ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ
بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(١)، ومن قتل وصي الإمام المهدي عليه السلام فكأنما قتل الناس جميعاً، كأنما قتل محمداً
وعلياً وفاطمة والأئمة والأنبياء والأوصياء والمرسلين عليهم السلام .

إضاعة من الجب

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(١).

أراد يعقوب عليه السلام بالذئب النفس الأمارة بالسوء، ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ عن ذكر الله، وتذكر حالكم في الدر، وفي بداية سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾^(٢)، فأنتم غافلون عن الذئب المستعر في بواطنكم، أي أنفسكم الأمارة بالسوء، كغفلتكم عن حالكم في الدر الأول، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

فلما ألقوه في الجب بين لهم يعقوب هذا الذئب الذي أكل يوسف: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(٤)، وفي الجب رأى يوسف عليه السلام أن هذه الذئاب سيهدها الجوع وستأتيه خاضعة ﴿وَلَنْبَلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْأَخْوَافِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٥)، رأى يوسف في الرؤيا هذه الذئاب تتخضع بين يديه ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾^(٦)، وهو يذكرهم أنهم كانوا الذئاب التي أكلته من قبل ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٧)، ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾^(٨)، لا تذكرون الله، غافلون عن ذكر الله وهذه آية للسائلين، فإذا اجتمع الجهل والغفلة أمسى الإنسان ذئباً متوحشاً لا يعرف الرحمة، فيعقوب

(١) يوسف: ١٣.

(٢) يوسف: ٣.

(٣) الواقعة: ٦٢.

(٤) يوسف: ١٨.

(٥) البقرة: ١٥٥.

(٦) يوسف: ٨٨.

(٧) يوسف: ١٥.

(٨) يوسف: ٨٩.

٣٠.....إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

يخاطبهم ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾^(١)، ويوسف يخاطبهم ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾، ويوسف الوصي النبي المرسل ماذا يكون رده على إخوته الذين حسدوه وأرادوا قتله؟ ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢).

إنه كرد هايليل ابن آدم أول وصي مقتول على من أراد قتله: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وكرد موسى عليه السلام على السامري الذي أراد قتل هارون وموسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾.

قصة كل مرة تتكرر، فهل من متذكر، وهل من معتبر إن ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٣).

وبعد الجريمة يأتي الإعلام ليقلب الحقائق، وربما يجعل من القاتل مقتولاً ومن المقتول قاتلاً، ﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾^(٤).

ولم يكتفِ الذئب البشري بإلقاء يوسف عليه السلام في الجب وتزوير الحقائق، بل ذهب في التنكيل بيوسف إلى أبعد من هذا، فلما أخرجته أهل القافلة من الجب وفرحوا به جاءهم الذئب، وقال هذا عبدي، ولم يقل إخوة يوسف عن يوسف إنه عبدنا لبيعه ويحصلوا على المال من أهل القافلة، بل للتنكيل بيوسف وتسليمه إلى الرق والعبودية، فهم باعوه بثمن بخس دراهم قليلة، وذلك لأنهم زاهدون فيه يريدون الخلاص منه بكل صورة، ويريدون أن يجعلوه عبداً مملوكاً بكل طريقة ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٥).

الزَّاهِدِينَ﴾^(٥).

(١) يوسف: ١٣.

(٢) يوسف: ٩٢.

(٣) يوسف: ١١١.

(٤) يوسف: ١٦.

(٥) يوسف: ٢٠.

إضاءة من الابتلاء الواقع في الطريق إلى الله

في مسيرة يوسف عليه السلام إلى الله، في مسيرة التكامل الإنساني التي خاضها يوسف عليه السلام على هذه الأرض، كان للابتلاء مساحة واسعة، بل إن الله سبحانه وتعالى جعل في شدة الابتلاء التمكين، فبعد أن أصبح يوسف عليه السلام عبداً مملوكاً في مصر، وفي بيت عزيز مصر بالخصوص **﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾**، نجده تعالى يقول: **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾**^(١)، فسيأتي التمكين من هذا القيد قيد العبودية، فالشيطان (لعنه الله) يمكر ويكيد بيوسف عليه السلام، ولكن **﴿... مَكَرُ أَوْلَىٰ لَكَ هُوَ يَبُورُ﴾**^(٢)، والله سبحانه يبدل السيئات بالحسنات، وذل العبودية بجزء الملك **﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**^(٣)، فكلما مكر الشيطان بيوسف وخطط لإيذاء يوسف عليه السلام، مرة بإخوته ومرة بالجب ومرة بالعبودية ومرة بامرأة العزيز ومرة بالسجن تنقلب هذه الأمور إلى مسيرة يوسف عليه السلام إلى ملك مصر، فكل خطط الشيطان ومكره أصبحت أحداثاً توالى وهي تدفع وتقرب يوسف مرة بعد أخرى من ملك مصر، فمع أن الشيطان (لعنه الله) أراد إيذاء يوسف عليه السلام والإضرار به باعتباره عدوه، ولكن مكر الشيطان انقلب إلى خطة محكمة لتمكين يوسف عليه السلام من ملك مصر **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**^(٤).

وأرجو أن لا تفوتني وتفوتكم الفرصة من أن نستضيء بنور هذه الآية **﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**، وأرجو من الآن أن نتخذ القرار الصحيح، إما أن نكون من الغافلين الجاهلين الذين لا يعلمون، أو أن نصبح من الذاكرين المتذكرين الذين يُعلمهم الله.

(١) يوسف: ٢١.

(٢) فاطر: ١٠.

(٣) النمل: ٥٠.

(٤) يوسف: ٢١.

إضاءة من السجن

في السجن يوسف عليه السلام نبي مرسل لا يترك الدعوة إلى الله، فلا بد أن يكون هناك تأثير في نفوس السجناء، كأبي مجتموع إنساني في مواجهة رسالات السماء، ولا بد أن ينقسم المجتمع إلى جبهتين جهة تؤمن وجهة تكفر، هكذا انقسمت المجتمعات التي بعث فيها رسالته **﴿وَلَقَدْ بَدَأْنَا إِلَى إِمْرَأَتِكَ إِتْقَانًا﴾** (١).

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ (٢)، والفتيان اللذان دخلا معه السجن كذلك فأحدهما كان قريباً من الإيمان برسالة يوسف والثاني مكذباً، وهما مختلفان في هذه الرسالة بين التصديق والتكذيب، أقبل على يوسف عليه السلام أحدهما رأى رؤيا هي: **﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾** (٣)، والثاني مكذب برسالة يوسف عليه السلام، فكذب **﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾** (٤) وكان يريد أن يؤوّل يوسف عليه السلام كذبه، ليطعن برسالة يوسف عليه السلام، فهما إذن أقبل على يوسف ليحلا خلافاً بينهما حول رسالة يوسف عليه السلام **﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**، ولذا قال يوسف في آخر كلامه معهما **﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾** فحصول ما أخبرهما به يوسف عليه السلام، سيثبت أن الرؤيا حق من الله، ولا ينكرها إلا القوم الكافرون وبالتالي تثبت نبوة يوسف عليه السلام، التي كانت تدور حول الرؤيا، ولذا **﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنَ﴾** ترقباً لهذا **﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾**، وبهذا يحسم النزاع **﴿فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾** (٥).

فعاقة الإيمان خير الدنيا والآخرة، وعاقة الكفر خسارة الدنيا والآخرة، وهذا ما حصل معهما، فهما جاءا مختلفان حول رسالة يوسف عليه السلام.

كما أن يوسف لم يؤوّل الرؤيا في أول كلامه، بل بين لهم رسالته، وأنه مؤيد بملكوت السموات، **﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ﴾** (٥).

(١) النمل: ٤٥.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) يوسف: ٣٦.

(٤) يوسف: ٣٦.

(٥) يوسف: ٤١.

عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١﴾، وأنه يدعو إلى توحيد الله ونبذ عبادة العباد للعباد ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

ثم انتقل يوسف إلى تأويل رؤيا الصادق، وتأويل الرموز التي رتبها الكاذب، فينجو الصادق بصدقه، ويهلك الكاذب بكذبه وتكذيبه على الله وبرسالة يوسف عليه السلام.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا...﴾ (٣)، والظن هنا بمعنى اليقين قال تعالى: ﴿... قَالِ الَّذِينَ يَطْتُونُ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤)، أي أنهم على يقين من لقاء الله. ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥)، أي يتقن أن الله لن يضيق عليه رزقه.

وأوحى الله ليوسف عليه السلام: إن هذا السجين سينجو وسيكون قريباً من الملك (برؤيه السجين)، وأوحى الله ليوسف عليه السلام: إن الملك سيخرجه من السجن وإن هذا السجين سيكون سبب خروجه من السجن، ولهذا قال له يوسف عليه السلام: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، أراد به ماذا أن يبين لهذا السجين علمه بالغيب، عندما سيضطر في المستقبل إلى ذكره عند الملك، كما أراد لفت انتباه السجين إلى حاله وليذكره في المستقبل عند الملك إذا رأى الرؤيا التي ستكون سبباً في خروج يوسف عليه السلام من السجن.

وهنا التفت يوسف عليه السلام إلى الأسباب، ومع أنه لم يغفل عن مسبب الأسباب كما توهم بعضهم أنه طلب معونة السجين والملك وغفل عن الله سبحانه، ولكن مع هذا فإن يوسف

(١) يوسف: ٣٧.

(٢) يوسف: ٣٩ - ٤٠.

(٣) يوسف: ٤٢.

(٤) البقرة: ٢٤٩.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

عليه السلام أشرك عندما جعل للأسباب قيمة ووزناً في ميزانه، وهو عليه السلام الذي لم يس آيات الله ومعجزاته التي نجح بها فيما مضى من حياته، وهذا الشرك الخفي ذُكر في آخر سورة يوسف **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** ^(١).

عن شعيب العرقوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إن يوسف أتاه جبرائيل فقال له: يا يوسف إن رب العالمين يقرؤك السلام ويقول لك من جعلك في أحسن خلقه؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض، ثم قال أنت يا رب، ثم قال له: ويقول لك من حبيبك إلى أبيك دون إخوتك؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض وقال أنت يا رب، قال ويقول لك: من أخرجك من الجب بعد أن طرحت فيها وأيقنت بالهلكة؟ قال: فصاح ووضع خده على الأرض، ثم قال أنت يا رب، قال: فإن ربك قد جعل لك عقوبة في استغاثتك بغيره فلبثت في السجن بضع سنين، قال: فلما انقضت المدة، وأذن الله له في دعاء الفرج، فوضع خده على الأرض، ثم قال: (اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فاني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب) ففرج الله عنه.

قلت: جعلت فداك أندعو نحن بهذا الدعاء؟ فقال ادع بمثله: اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فاني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمد عليه السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام) ^(٢).

قال يوسف عليه السلام للسجين: **﴿ادْكُرْ نِيَّ عِنْدَ رَبِّكَ﴾**، وسبب التفات يوسف للأسباب هو الشيطان **﴿فَأَنسَأَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾** فكانت النتيجة: **﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾** ^(٣)، وهذا الشيطان (أي الشر) هو الظلمة التي لا يخلو منها مخلوق، فالنور الذي لا ظلمة فيه هو الله سبحانه، ومع ان هذه الظلمة قليلة في كيانات الأنبياء النورانية المقدسة، ولكنها موجودة ولها أثر على حركتهم عليهم السلام، ولهذا فهم يحتاجون إلى العصمة من الله **﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا**

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ٣٤٤.

(٣) يوسف: ٤٢.

لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا^(١).

فلولا هذه الظلمة لما احتاجوا إلى العصمة، ومن يعتقد غير هذا فهو يذنب لهم من نزله الله سبحانه عما يشركون، وهذه المغالاة في التذرية لهم ﷺ حتى يوصلهم بعض من يجهل الحقيقة إلى مرتبة نور لا ظلمة فيه، هي شرك يخطأ من يعتقدده، كما ان من يستخف بعصمتهم وبحقهم ومررتهم يكفر بحقهم ويخطأ، وقد بين سبحانه في القرآن أثر هذه الظلمة في مسيرة الأنبياء في مواضع كثيرة، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا^(٢)﴾، والذي نسي وأنساه الشيطان هو فتى موسى عليه السلام وهو يوشع بن نون نبي من أنبياء بني إسرائيل ووصي موسى عليه السلام الذي فتح الأرض المقدسة، ومع هذا فلا بد من ملاحظة ان الله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء محط نظره، فحتى ما يحصل بسبب هذه الظلمة يكون في النتيجة سبباً يوصلهم ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ فأصبح نسيان الحوت سبباً دلهم على العالم عليه السلام ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا^(٣)﴾، أو يزيد علمهم ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ^(٤)﴾، فبعد أن تعلم داود عليه السلام من هذه الحادثة أن لا يتكلم إلا بعد أن يسمع الخصمين، خاطبه تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ^(٥)﴾.

ثم استفاد يوسف عليه السلام من هذه الحادثة قبل وبعد خروجه من السجن وهو في مسيرته التكاملية إلى الله ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ

(١) الج: ٢٧ - ٢٨.

(٢) الكهف: ٦٣.

(٣) الكهف: ٦٤.

(٤) ص: ٢٤.

(٥) ص: ٢٦.

بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ .
 إذن، يوسف عليه السلام يقول: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
 أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، فالذي أخرجته من السجن الله
 فقط لا غير، والذي جاء بأهله إلى مصر الله فقط لا غير، عمي يوسف عن الأسباب ولم يع
 يرى إلا مسبب الأسباب، فمن ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ إلى أن الله فقط هو الذي (أَحْسَنَ بِي،
 أَخْرَجَنِي، وَجَاءَ بِكُمْ)، لم يعد يوسف يرى إلا الله، أما الملك الذي كان سبباً في خروجه من
 السجن، فلم يكن يوسف ليراه الآن، وهو الذي جاء بأهله من البدو ومع ذلك لا يرى نفسه،
 لقد انتقل يوسف عليه السلام إلى مرتبة أعلى وارتقى في ملكوت السموات، لقد أصبح يوسف عليه السلام
 يرى بوضوح كامل انه لم يصب خيراً قط إلا من الله، ولم يصرف عنه سوءاً قط أحد سوى
 الله.

إذن يوسف عرف الحقيقة الآن، والذي يعرف الحقيقة يكون كحمامة الزاج بل همها
 الرجوع إلى البيت الذي أُطلقت منه، وهكذا لم يكن دعاء يوسف عليه السلام في النهاية بعد أن أتاه
 الله الملك والعلم إلا تَوَفَّنِي ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ
 الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي
 بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢)، فلأن يوسف عرف الحقيقة يريد أن يعود إلى الحقيقة التي عرفها والتي خرج
 منها، وهكذا يدعو الحسين عليه السلام في يوم عرفة (يوم معرفة الله): (إلهي أم مرتب بالرجوع إلى
 الآثار، فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها كما دخلت
 إليها منك، مصون السر عن النظر إليها، ومرفوع الهممة عن الاعتماد عليها إنك على كل
 شيء قدير)^(٣).

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٤).

(١) يوسف: ١٠٠.

(٢) يوسف: ١٠١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ٢٢٦.

(٤) الذاريات: ٥٠.

إضاءة من رؤيا ملك مصر

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(١).

الرؤيا (الصادقة) حق من الله سبحانه وتعالى سواء رآها نبي كيوسف عليه السلام أو رآها باحث عن الحقيقة كالسجين الأول أو رآها كافر غافل عن ذكر الله كفرعون مصر. وسورة يوسف عليه السلام دارت حول هذه النقطة، الرؤيا حق من الله ينكرها الكافرون بالله كماً فرعون ويؤمن بها المؤمنون بالله كالسجين الأول ويوسف عليه السلام، أما من يرى الرؤيا فلا بد أن يكون لها أثر في نفسه سواء كان مؤمناً أم كافراً، فملك مصر لم يكن مؤمناً، ولكنه لم يقبل إهمال رؤياه على أي أنها أضغاث أحلام، كما قرر ملأه وزبانيته.

وبدأت رحلة البحث عن حقيقة هذه الرؤيا، فمرت بملا فرعون الكافرين فأهملوه واستخفوا بها، وكذلك يتابعهم اليوم الجاهلون، ثم انتقلت إلى السجين الأول الذي نجا بإيمانه وتصديقه يوسف عليه السلام وأرسل إلى السجن.

فماذا خاطب يوسف عليه السلام ؟

خاطبه خطاب مؤمن مصدق له، فإذا رجعنا إلى حاله لما تقدم هو وصاحبه إلى يوسف عليه السلام في السجن ليسأله عن رؤياه، قال مع صاحبه: ﴿.. نَبِّئْنَا مَا بَتَأْوِيلُهُ إِذْ نَاذَرَكَ مِنْهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)، وهذه العبارة لا تعبر عن القطع بصدق يوسف عليه السلام، أما الآن فهو يقول: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا...﴾^(٣)، أي بين لنا ما سيحصل حقاً وصدقاً فأنت صادق بل خيرة الصادقين ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ فهذا الشخص (السجين الأول) الآن مؤمن بالرؤيا حتى وان كان من رآها فرعون مصر، بل ويأخذ كلام يوسف حول الرؤيا على أنه سيحصل يقيناً... ﴿أَفْتِنَا...﴾ إلا ما شاء الله رب العالمين.

ونتيجة هذه الرؤيا التي رآها فرعون مصر الكافر، أن عمل بها يوسف عليه السلام فطلب على

(١) يوسف: ٤٣.

(٢) يوسف: ٣٦.

(٣) يوسف: ٤٦.

أساسها ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، ثم بنى اقتصاد مصر على أساس هذه الرؤيا، وعمل على أساسها فرعون مصر الكافر، فأخرج يوسف عليه السلام من السجن وخاطبه فقال: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾^(٢)، وكانت نتيجة الرؤيا: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الرَّاحِلِينَ﴾^(٣).

وهذه الرؤيا ليس فيها نبي ولا وصي، ولكنها حق من الله، وصدقها صاحبها فرعون الكافر، والسجين المؤمن، ويوسف عليه السلام، واليوم ماذا حصل؟ يرى المؤمنون رؤيا بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عليها السلام والأئمة عليهم السلام يقولون هذا هو الحق، فيقول لهم العلماء غير العاملين قراء ملاء فرعون: هذه أضغاث أحلام. أو أنهم يقولون قولاً ازدادوا به طغياناً وكفراً على ملاء فرعون، وذلك بقولهم: إن الشيطان (لعنه الله) يتمثل بخيرة الله من خلقه محمد وآل محمد والأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

(١) يوسف: ٥٥.

(٢) يوسف: ٥٤.

(٣) يوسف: ٥٦.

إضاءة من نبوة يوسف عليه السلام

الآن، نعود إلى التركيز في ذكر يوسف عليه السلام في القرآن كني لا كمرسل، أي على علاقته مع الله أو ارتباط قضيته بالله، لا على ارتباط قضيته بالناس وتبليغهم، وقبل بيان الحكمة من ذلك (ومع أنها اتضحت مما سبق)، يجب أن نلاحظ أن نبوة يوسف عليه السلام كانت الرؤيا والكشف محوراً أساسياً فيها، فهو يرى رؤيا والسجين يرى رؤيا وفرعون يرى رؤيا، وكلها بالنتيجة تؤيد أحقية يوسف عليه السلام ونبوته ورسالته.

إذن، فالرؤيا طريق لوعي الله إلى يوسف، والرؤيا طريق لإثبات نبوة يوسف عليه السلام ورسالته ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾^(١١٢)، ومن بين البيئات الرؤيا التي رآها كثيرون تؤيد نبوة يوسف.

وإذا عرفنا أن يوسف في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام هو وصيه (اليمني)، فقولهم عليه السلام: إن فيه سنة من يوسف وهي السجن، قطعاً ليست في الإمام المهدي عليه السلام، لأنه لا يسجن كما هو معروف، بل هي في المهدي الأول (اليمني)، إذن فلا بد أن تتكرر مع المهدي الأول قصة يوسف عليه السلام (بل وقصص الأنبياء والأئمة عليهم السلام)، فتكون الرؤيا محوراً أساسياً لإثبات حقه، كما كانت محوراً أساسياً لإثبات حق يوسف عليه السلام.

- عن عبد الله بن عجلان، قال: (ذكرنا خروج القائم عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت: كيف لنا نعلم ذلك؟ فقال عليه السلام: **يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب: طاعة معروفة اسمعوا وأطيعوا**)^(١١٣)، وهذه الصحيفة هي رؤيا رآها القائم قبل أن يستيقظ صباحاً.
- عن البيزنطي، قال: (سألت الرضا عليه السلام عن مسألة الرؤيا، فأمسك ثم قال عليه السلام: **إنا لو أعطيناكم ما تريدون لكان شراً لكم وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر عليه السلام**)^(١١٤)، أي أن الرؤيا مرتبطة برقبة صاحب هذا الأمر، أي أن الرؤيا دليل يدل المؤمنين على المهدي الأول.

(١١٢) غافر: ٣٤.

(١١٣) منتخب الأنوار المضيفة للسيد بهاء الدين النجفي: ص ٣١١، كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٥٤.

(١١٤) قرب الإسناد: ص ٣٨٠.

٤٠..... إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

• عن أبي بكر الحضرمي، قال: (دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى، فقال: **اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهضوا إلينا بالسلاح**)^(١١٥)، واجتماع أهل البيت عليهم السلام على رجل في زمن الظهور لا يكون إلا في الرؤيا.

إذن، فالحكمة من ذكر نبوة يوسف عليه السلام وعلاقته مع وحي الله، والرؤيا منه بالخصيص، هو ليستفاد منها الناس والمؤمنون بالخصوص، فالسنة الإلهية لا تتبدل ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١١٦).

فالسجينان كانا مع يوسف عليه السلام وأحدهما مؤمن ونجا مع يوسف عليه السلام وفاز بخير الدنيا والآخرة، والثاني كافر وصلب وأكلت الطير من رأسه، وكذلك مع عيسى عليه السلام أو مع شبيهه عيسى عليه السلام (المصلوب) بالخصوص تكرر السجينان وصلبا معه، وأحدهما مؤمن سقي من خمر الجنة بعد صلبه وموته، والثاني كافر وصلب وأكلت الطير من رأسه، وهكذا تتكرر القصة على هذه الأرض، وتكرر نفس المقدمات ونفس النتائج والمعطيات ولكن: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١١٧).

(١١٥) كتاب الغيبة النعماني: ص ٢٠٣، بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٣٨ - ١٣٩.

(١١٦) الفتح: ٢٣.

(١١٧) ي: ٣٠.

الفهرس

٥	إضاءات من مسيرة يوسف <small>عليه السلام</small>
٧	إضاءة من رؤيا يوسف <small>عليه السلام</small>
١٧	إضاءة من فاتحة سورة يوسف
٢٤	إضاءة من قصة بني آدم وإخوة يوسف <small>عليه السلام</small>
٢٩	إضاءة من الحب
٣١	إضاءة من الابتلاء الواقع في الطريق إلى الله
٣٢	إضاءة من السجن
٣٧	إضاءة من رؤيا ملك مصر
٣٩	إضاءة من نبوة يوسف <small>عليه السلام</small>
٤١	الفهرس

والحمد لله رب العالمين